خير الهدي هدي المصطفى ﷺ

١٣

كلوا من الطيبات و اعملوا صالحاً

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

في صَحيحِ الإمامِ مُسلمٍ: عنْ أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«إنَّ اللهَ تَعالى طَيِّبٌ لا يقبلُ إلاَّ طَيِّباً ، وإنَّ اللهَ تَعالَى أمرَ المُؤمنينَ بمَا أمرَ بهِ المُرسلينَ ، فقالَ تَعالَى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقالَ تعالَى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثُمَّ ذَكرَ الرَّجلَ يُطيلُ السَّفرَ أشعثَ أغبرَ يمُدُّ يدَيهِ إلى السَّماءِ: يا ربِّ يا ربِّ ، ومَطعمُه حَرامٌ ، ومشْربُهُ حَرامٌ ، وملبسُهُ حرامٌ ، وغُذِيَ بالحرامِ ، فأنَّى يُستجابُ لِذلكَ؟».

الخَطُّ المُستَقيمُ المُعتَدِلُ

وفي الرَّكعةِ الثَّانيةِ لِصلاةِ العِشاءِ، قَرَأَ (أبُو الخَيرِ) قولَ اللهِ تَعالَى:

﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١ - ٣٣].

وبَعدَ الصَّلاةِ والذِّكرِ، سألتْ (روضةُ) والدَهَا عنْ تفسيرِ هَاتينِ الآيتَينِ، فقالَ: إنَّ اللهَ يُحبُّنَا في التَّزيُّنِ بِالثِّيابِ الحَسنَةِ والمَظهَرِ الجَميلِ، وخاصَّةً في المَساجِدِ، وبالذَّاتِ أثنَاءَ

صَلَواتِ الجُمعةِ والأَعيادِ والجَماعةِ.

ولكنْ دُونَ إسرافٍ ولا تَبذِيرٍ، وهذهِ من خَصائِصِ الإسلامِ، فَهُو في كُلِّ أَحكامِهِ وعِباداتِهِ، يَدعُو إلى الوَسطِيَّةِ والاعتِدَالِ.

وهَكذَا يَقولُ اللهُ تَعالَى في تِبيانِ وتَفصِيلِ جَوانبِ خَطِّ الاعتدالِ:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهُ طيِّبٌ.. لا يَقبَلُ إلاَّ طَيِّباً

ودَارَ نِقاشٌ حَولَ حَديثِ رسولِ الله ﷺ:

«إنَّ اللهَ تَعالى طَيِّبٌ لا يقبَلُ إلاَّ طَيباً..».

فَقالتْ (روضةُ): كَما نَعلمُ فَإنَّ اللهَ تَعالَى

مُقَدَّسٌ مُنزَّهٌ عن النَّقائِضِ والعُيوبِ كُلِّها ، لِذلكَ لا يَقبلُ إلاَّ كُلَّ طيِّبٍ:

أي: لا يَقبلُ منَ الأعْمالِ إلاَّ ما كَانَ طَيِّباً طاهِراً مِنَ المُفسِداتِ كُلِّها كَالرِّياءِ والعُجبِ ، ولا يقْبلُ منَ الأموالِ إلاَّ ما كانَ طَيِّباً حَلاَلاً.

والتَّمييزُ بينَ الطَّيِّبِ والخَبيثِ ، وَاردٌ في القُرآنِ الكَريمِ مِثلُ قَولِهِ تَعالَى:

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة:١٠٠].

وقَولِهِ أيْضاً:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾

[فاطر: ١٠].

وَهَكذَا وَصفَ اللهُ تَعالَى المُؤمنينَ بالطَّيِّبِ ، وذَلكَ في قَولِهِ تَعالَى:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٢].

حتَّى مَلائكةَ اللهِ تَدعُو لِكُلِّ مُؤمنٍ يَنطلقُ إلى زِيارَةِ أَخيهِ المُؤمِنِ:

«إنَّ المؤمنَ إذَا زَارَ أخاهُ في اللهِ، تقولُ لهُ المَلائِكةُ: طِبْتَ وطَابَ ممْشاكَ، وتَبَوَّأتَ منَ الجَنَّةِ منْزِلاً».

كيفَ تُصبحُ مُستجابَ الدَّعوَةِ؟!

سألتْ (دانية): ولَكنْ كيفَ يَستجيبُ اللهُ الدُّعاءَ؟

فَقالَ (صُهيبٌ): المَسألةُ لَها حَلٌّ في القُرآنِ الكَريمِ والسُّنَّةِ المُطهَّرةِ، مثالُ ذلكَ مَا وَردَ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: تُلِيَتْ هَذهِ الآيةُ عِندَ رسولِ الله ﷺ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾

[البقرة: ١٦٨].

فَقامَ سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ رضِيَ اللهُ عنهُ فَقالَ:

يَا رسولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ أنْ يَجعلَنِي مُستجَابَ الدَّعوةِ.

فَقالَ النَّبيُّ صَلواتُ اللهِ عَليهِ: «يَا سَعدُ! أَطِبْ مَطعَمَكَ تَكُنْ مُستجابَ الدَّعوَةِ، والَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيدِه، إنَّ العَبدَ لَيقذفُ اللُّقمةَ الحَرامَ في جَوفِهِ مَا يتَقبَّلُ اللهُ مِنهُ عَمَلاً أربَعينَ يَوماً، وَأيُّما عَبدٍ نَبتَ لَحمُهُ من سُحتٍ [1]، فالنَّارُ أولَى بِهِ».

ومَسألةُ المَالِ الحَرَامِ لَيستْ أَمرَاً سَهْلاً، إنَّما فيهِ الخُطورَةُ كُلُّها، وقَدْ وَردَ في المُعجَمِ الأَوسطِ للطَّبرانِيِّ: عَنْ أَبي هُريرَةَ رضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ:

---

(١) أي: حرام.

«إذَا خَرجَ الرَّجُلُ حَاجّاً بِنفَقةٍ طَيِّبةٍ ، وَوضَعَ رِجْلَهُ في الغَرزِ ، فَنَادى: لَبَّيكَ اللَّهمَّ لَبَّيكَ ، نَادَاهُ مُنادٍ منَ السَّماءِ: لَبَّيكَ وَسعدَيْكَ ، زَادُكَ حَلالٌ ، ورَاحِلَتُكَ حَلالٌ ، وحَجُّكَ مَبرورٌ غَيرُ مأزُورٍ.

وإذَا خَرجَ الرَّجلُ بالنَّفقَةِ الخَبِيثَةِ فَوضَعَ رِجْلَهُ في الغَرْزِ ، فَنَادَى: لَبَّيكَ اللَّهمَّ لَبَّيكَ ، نَادَاهُ مُنادٍ مِن السَّماءِ: لاَ لَبَّيكَ ولاَ سَعدَيكَ ، زَادُكَ حَرامٌ ، ونَفَقتُكَ حَرامٌ ، وحَجُّكَ غيرُ مُبرورٍ».

فَقالَ (أبُو الخَيرِ): جَزَاكَ اللهُ الخَيرَ يَا صُهيبُ لِهذَا التَّوضِيحِ والتِّبيانِ.

وقَدْ قَرأْتُ في مُسندِ الإمامِ أَحمدَ: عنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما ، قَالَ: «مَنِ اشْتَرى ثَوباً بِعشَرةِ دَرَاهِم ، في ثَمنِهِ دِرهمٌ حَرامٌ ، لَمْ

يتَقَبَّلِ اللهُ صَلاتَه مَا كَانَ عَليهِ».

وتَابعَ (صُهيبٌ) القَولَ:

وقَدْ كَانَ السَّلفُ الأوَّلُ مِنَ الأُمَّةِ يَخافُونَ على أنفُسِهِمْ ، منْ أنْ يَعمَلُوا العَمَلَ ثُمَّ لاَ يتقبَّلهُ اللهُ ، وذَلكَ عَلى أَساسِ مَا قَالَهُ اللهُ تَعالَى:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

فَقَدْ وَرَدَ عن سَعيدِ بنِ زَيد رَحِمهُ اللهُ تَعالَى أنَّه قَالَ:

خَمسُ خِصالٍ بهِ تَمامُ العَملِ: الإيمَانُ بِمعرِفةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ ، ومَعرِفةُ الحَقِّ ، وإخْلاصُ العَملِ للهِ ، والعَملُ على السُّنَّةِ ، وأكلُ الحَلالِ ، فَإنْ فُقِدتْ وَاحدَةٌ لَمْ يَرتفِعِ العَملُ ، وذَلكَ أنَّكَ إذَا عَرفتَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ ، ولَمْ تَعرِفِ الحَقَّ لَمْ تَنتَفِعْ ، وإذَا عَرفْتَ اللهَ وعَرفتَ الحَقَّ ولمْ تُخلِصِ العَمَلَ لَمْ تَنتفِعْ ، وإنْ عَرفتَ اللهَ وعَرفْتَ

الحَقَّ وأَخلصْتَ العَملَ ، ولَمْ يكُنْ عَلَى السُّنَّةِ لَمْ تَنتَفِعْ ، وإنْ تَمَّتِ الأَربعُ ولَمْ يَكُنِ الأَكلُ من حَلالٍ لَم تَنتَفِعْ.

فَماذَا عن التَّصدُّقِ بالأمْوالِ الحَرامِ؟

وقَالَ (جَميلٌ):

حتَّى مسألةَ التَّصدُّقِ عَلَى الفُقراءِ والمَساكِينِ ، وحتَّى عَلَى المَشارِيعِ الخَيرِيَّةِ ، لا يقَبلُها اللهُ إنْ كانتْ مِنَ الحَرامِ!!

ولِذلكَ أسبابٌ وَاضِحةٌ ، أهمُّها: أَنَّ اللهَ لاَ يتَقبَّلُ إلاَّ ما هُو طَيِّبٌ وحَلالٌ.

مِصداقُ ذَلكَ قولُ رسولِ الله ﷺ: «مَا تَصدَّقَ عبدٌ بِصدقةٍ منْ كَسبٍ طَيِّبٍ ، ولاَ يقَبلُ إلاَّ الطَّيِّبِ ، إلاَّ أَخذَها الرَّحمنُ بِيمينِهِ».

وقَولُه صَلواتُ اللهِ عَليهِ: «لاَ يقبلُ اللهُ صَلاةً بغيرِ طَهورٍ ، ولاَ صدَقةً مِن غُلولٍ».

وقَولُه ﷺ: «لاَ يَكسبُ عَبدٌ مَالاً منْ حَرامٍ فَيُنْفِقُهُ فَيبَارَكُ فيهِ ، ولاَ يَتصدَّقُ بهِ فَيُتَقَبَّلُ مِنه ، واللهُ لاَ يمحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئَ ، ولَكنْ يَمحُو السَّيِّئَ بِالحَسَنِ ، إنَّ الخبيثَ لا يَمحُو الخَبيثَ».

وقَولُه صَلواتُ اللهِ عَلَيهِ: «مَنْ أصابَ مَالاً من مَأثمٍ ، فَوصَلَ بهِ رَحِمَهُ أَو تصَدَّقَ بهِ ، أو أنفَقَهُ في سبيلِ اللهِ ، جُمِعَ ذلكَ جَميعاً ثُمَّ قُذِفَ بهِ في نَارِ جَهنَّمَ».

وهَذا مَا فهِمَهُ تُرجمانُ القُرآنِ وحَبرُ الأُمَّةِ عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاس رَضيَ اللهُ عَنهُما ، فقالَ عِندمَا سُئلَ عمَّنْ كانَ عَلى عَملٍ ، فَكانَ يَظلمُ ويأخُذُ

بِالحرَامِ ، ثُمَّ تابَ فهُو يحُجُّ ويُعتِقُ ويَتصدَّقُ مِنْهُ.

فَقالَ: إنَّ الخَبيثَ لاَ يُكفِّرُ الخَبيثَ!!

مِنْ آدابِ الدُّعاءِ!!

وأكملَ (أبُو الخيرِ) قولَ الرَّسولِ ﷺ: «ثُمَّ ذَكرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفرَ أشعثَ أغبرَ ، يَمدُّ يَديهِ إلى السَّماءِ: يَا رَبِّ يا رَبِّ ، ومَطعَمُهُ حَرامٌ ، وَمشربُهُ حرَامٌ ، ومَلبسُهُ حَرامٌ ، وغُذِيَ بِالحرَامِ ، فَأنَّى يُستجابُ لِذلكَ؟!».

وقدْ حَصرَ العُلماءُ الأسبابَ التي تَقتَضِي إجابةَ الدُّعاءِ بمَا يَلِي:

١ - إطَالةُ السَّفرِ: وذَلكَ لِمَا في السَّفرِ من مَشقَّةٍ ، وانْكسارِ النَّفسِ والغُربَةِ ، وقَدْ وردَ في سُننِ التِّرمذِيِّ عن أبِي هُريرَةَ رَضيَ اللهُ عنهُ عن

النَّبيِّ ﷺ: «ثَلاثُ دَعواتٍ مُستجابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعوةُ المَظلومِ، ودَعوةُ المُسافرِ، ودَعوةُ الوَالدِ لوَلدِهِ».

٢ - حُصُولُ التَّبذُّلِ في اللِّباسِ: أي أنْ يَلبسَ الإنسانُ اللِّباسَ العَاديَّ حيثُ يُظهِرُ من خِلالِه التَّواضُعَ والتَّضَرُّعَ، مِصداقُ ذلكَ قولُ رسول الله صَلواتُ اللهِ عَليهِ: «رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ، ذِي طِمْرَينِ، مَدفُوعٍ بالأَبوابِ، لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لأبرَّهُ».

٣ - مَدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ، ليُظهِرَ مَدى تَضرُّعِهِ وافتِقارِهِ إلى اللهِ تَعالى، وقدْ ورَدَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَرْفَعُ في الاسْتِسْقَاءِ حتَّى يُرى بَياضُ إبْطَيهِ، ورَفعَ يَديهِ يومَ بَدرٍ يَطلبُ النَّصرَ عَلى المُشرِكينَ، حتَّى سقَطَ رِدَاؤهُ عن مِنكَبيهِ.

وقدْ وَرَدَ في مُسندِ الإمامِ أحمدَ عن سَلمانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النَّبِيِّ ﷺ:

«إنَّ اللهَ تَعالَى حَيِيٌّ كَريمٌ ، يستَحِي إذا رَفعَ الرَّجُلُ يَديهِ أن يَردَّهُما صِفْراً خَائِبتَينِ».

٤ ـ الإلحاحُ عَلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ بِتكريرِ ذِكرِ رُبُوبيَّتِهِ.

وبالتَّالِي فغَالبيةُ الأَدعيةِ المَذكورَةِ في القُرآنِ تُفتَتَحُ بِاسمِ الرَّبِّ سُبحانَه وتَعالَى ، مِثلُ قَولِهِ تَعالَى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

«فأنَّى يُستجابُ لَهُ؟!»

وهزَّتْ (أمُّ الخيرِ) رَأسَها وقالتْ: فَمنْ كانَ مَأكلُهُ ومَشربُهُ ومَلبسُهُ من الحَرامِ فإنَّهُ لَنْ يُستجابَ لَهُ أبداً.

وذلكَ لأنَّ الذُّنوبَ والمَعاصِيَ هي الطَّريقُ إلى سَدِّ كُلِّ مَنافذِ الإجابَةِ.

ورَحمَ اللهُ سُفيانَ الثَّورِيَّ عِندمَا قَالَ: إنَّ تَركَ الذُّنوبِ هُو الدُّعاءُ.

والحمدُ للهِ ربِّ العَالمينَ